سنلتقي يومًا ..!!

إهداء..

إلى كل من علمني حرفا ، أو غرس بداخلي قيمة سامية..

إلى الأحباء الراحلين الذين لطالما افتقدتهم في حياتي..

إلى كل صابر ومحتسب..

أهدي هذه القصة..!!

المأخوذة من ..

واقع الحياة..!!

******

الإنسان ..

عجيب هو ذلك الكائن

عجيبة هي مشاعره المختلفة والمتضاربة تبعًا لاختلاف الظروف.. والأعجب هو صبره وتحمله لمآسي الحياة وصدماتها، أو دفن نفسه ليغرق فيها، فيزهد الحياة بأسرها.

دائما ما تشدني التجارب الإنسانية والأحداث الحياتية للبشر..

أستمع إليها وأندهش، أحللها بعيني خبير تارة، وأندهش لها بعيني طفل بريء قليل الخبرة تارة أخرى..

وبين ما رأيته وما سمعته أنقل إليكم منها ما أظنه قد يفيدكم، أو يضيف إلى خبرتكم في ذلك البحر الهائل المتلاطم الأمواج.. الحياة!

******

لم يطف بمخيلة ماجد يومًا أن يحدث له كل ماحدث!

لم يتوقع يومًا أن يفقد كل من أحب؛ واحدًا تلو االآخر!

جلس ماجد على الصخرة الوحيدة على الشاطيء يراقب تدفق الأمواج وتكسرها، ثم انحسارها عن الشاطيء ..

وحيد هو كهـــذه الصخرة.. موحشة حياته كشاطيء جميل المنظر، مترامي الأطراف، لا يراه أحد من البشر!

لم يشعر في حياته بالغربة إلا الآن.. حتى بعد وفاة أمه الحبيبة وهو بعد صغير!

ما زال يذكرها.. حديثها العذب،حنانها، كلماتها الرقيقة..

ما زال يذكر كيف توقف عقله عاجزًا أمام وفاتها، لم يستطع ذلك الطفل بسنواته الست أبدًا استيعاب فكرة الموت.. اختفاء من يحب، رغم حضوره في قلبه.

أخبره أبوه وهو يبكي ويحتضنه أنها ماتت، ذهبت للقاء ربها..

يومها سأله ماجد ببراءة: "ومتى تعـــــــــود؟.. وهل يستغرق اللقاء كل هذا الوقت ؟"

انهمرت الدموع من عيني والده ولم يُجِبه..

أجابته الأيام والشهور والأعوام الطويلة عن سؤالـــه..

وقتها لم يجرؤ يومًا على أن يسأل نفسه سؤال خشي كثيرا من إجابته: "تُرى هل يتركني أبي ويرحل؟!"

وعندها كانت تتجمع الدموع في عينيه، وينفض رأسه مستعيذًا بالله ومحاولًا إبعاد الفكرة عن رأسه..

مرت السنوات.. واشتد عود ماجد وزاد التصاقه بأبيه، وتعلقه به..

لطالما كان ماجد ولد ذكيّ، قوي الملاحظة، سريع التعلم، أحب البحـــر منذ صغره، إن البحر في تقلبه لهو صورة مصغرة من الحيـــاة..

وكلما جذب ماجد الأنظار بتفوقه ونجاحه وحبه للعلم وفضوله للمعرفة؛ كلما ازداد به والده فخرًا وتعلقًا..

"ماذا تفعل يا أبا ماجد ؟!"

أغلق أبو ماجد دفترًا كان في يده، ووضعه في صندوق صغير وأجاب ابنه مبتسما:

"أكتب وصيتي.. أقوم بإعداد الإرث"

انقبض صدر ماجد، وأقبل على والده قائلا:

"رزقك الله طول العمر يا أبي.. لا تقل ذلك ثانيةً أبدًا"

ابتسم والده قائلا:

"كلنا سنغادر الدنيا يومًا يا ولدي، لكننا سنلتقي ثانية، سنلتقي يومًا.. أنا، وأنت، وأمك، وكل من نحب.. فإذا أتى ذلك اليوم ياولدي؛ فاجعلني

فخورًا بك.. قد أغادرك اليوم، ولكني سألقاك غدًا.. في يومٍ لا فراق بعده، فإذا أتى ذلك اليوم فافتح هذا الصندوق، ولا تيأس يابني يومًا من رحمة الله، وتذكر دائمًا أننا نفترق لنلتقي.."

لا يدري ماجد لماذا بكى كثيرًا في هذه الليلة! أيُحتمل أن يعيش يوما بلا أب؟!

أيُعقَل أن يتجرع مرارة اليُتم مرةً أخرى؟!

وبعد هذه الليلة بعام.. مات والده..

لم يبكِ ماجد يومها.. تحجرت الدموع في عينيه، واعتصرت قبضة باردة قلبه؛ كأنما تنهمر دموعه إلى داخل قلبه، فتغرق روحه في مزيج عجيب من الغربة والألم واللوعة..

رباه.. أهكذا ينضج الأطفال؟! أهكذا يصبحون رجالًا، بأن يفقدوا من يحبون واحدًا تلو الآخر؟!

لماذا؟!

"لماذا يحدث لي كل هذا؟"

تململ ماجد في جلسته على الصخرة ولملم مشاعره المبعثرة ليعود أدراجه إلى البيت الذي شهد سنوات من السعادة والحزن..

لم يجرؤ ماجد منذ وفاة والده منذشهور على أن يفتح الصندوق الصغير..

والآن.. اشتاق لوالده، فقرر فتح الصندوق، وقراءة ما في الدفتر؛ لعله يشعر بروح أبيه ترفرف من حوله لتحتضن أحزانه..

فتح ماجد الصفحة الأولى، لتنهمر من عينه دمعة ذاهلة وهو يقرأ..

كانت الصفحة الأولى عبارة عن سؤال وإجابته..

السؤال كان:

"لماذا يحدث لي هذا؟!"

وكان الجواب:

"لأن الله يريدك أقوى"..

وفي الصفحة الأخيرة من وصية الأب الحنون لابنه كتب:

"سنلتقي يومًا يابني.. اجعلني فخورًا بك"..

وبين الصفحة الأولى والأخيرة كان هناك كنزٌ آخر.. نصائح وخواطر، ويوميات من حياة والده، وعبارات مأثورة عن الأمل والمستقبل، والعلم والمعرفة والحياة..

قرأ ماجد وقرأ.. كانت دموعه تغلبه تارة، وتغلبه ابتسامة تارة أخرى..

حكى له أبوه عن يوم ولادته وعن مواقف طريفة من طفولته وصباه، واختتم الأب كلامه بهذه العبارة:

"تستطيع أن تقدم لي الكثير ياولدي.. أكثر مما تتخيل"..

يومها لمعت عينا ماجد إصرارًا وعزمًا، وأضمر في نفسه شيئًا

******

(بعد مرور عشر سنوات)

طرق ماجد باب المكتب ليسمع صوتًا يأذن له بالدخول: "أستاذة مرام الحسيني.. قرأت كثيرًا من مؤلفاتك، وأعجبتني كثيرًا.. اسمحي لي بتقديم نفسي..أنا..

قاطعته مبتسمة بأمومة: " غني عن التعريف يا ولدي.. طبيبٌ عالِم، حقق الكثير من النجاحات، واخترع آلات جراحية في سن صغير"

ابتسم بخجل قائلًا: شكرا لك أستاذتنا.. أتيت إليكِ اليوم لتحقيق ما عاهدت عليه نفسي يوما.. أُريد أن أُحَّول هذا الدفتر الصغير الذي يحوي يوميات أبي إلى مذكرات في كتاب مطبوع باسمه.."

انطلق ماجد يروي لها قصته وماتعرض له في طفولته من فقد الأم ثم ما تعرض له في شبابه بعد وفاة أبيه..

انسابت الدموع من عيني مرام، وتعجب كثيرا لتأثرها، وعدته بقراءة الدفتر والرد عليه في أقرب وقت، بكت مرام في تلك الليلة كما لم تبكِ من قبل.. ما أرحم الله إذ أرسل إليها من يهون عليها مصابها من حيث لا تدري..

توفى زوجها منذ عشر سنوات وهو ما زال شابًا؛ تركها وهي حامل في شهورها الأخيرة، وقد سمى هذا الابن..

"أحمد".. هكذا اختار له اسمه وترك لها حبًا يملؤ قلبها، وذكريات رائعة، وطفلًا جميلًا، ملأ حياتها نورًا وسعادة..

لكم تمنى زوجها أن يرى هذا الابن ويعلمه بنفسه كيف يشق طريقه في هذه الحياة، كيف ينجح وكيف يقاوم الفشل.. كيف يصبح محبًا للعلم.. كان زوجها ليكون نسخة أخرى من والد ماجد.. هذا الأب الحنون المحب لولده..

وبينما بللت دموعها خديها، ورأت في ماجد طيف أمل يأتي من المستقبل لينير درب أحمد ولدها.. أمسكت بالقلم وكتبت قصة، كأنها تكتبها لولدها أحمد، ولماجد ولكل أحمد وماجد على وجه الأرض؛ بدأتها بعنوان:

" سنلتقي يومـــا"..

"هل تريد أن تعلم لمَ تقسو عليك الحياة؟ لمَ يحدث لك كل ذلك ؟!"

- "لأن الله يريدك أقوى"..

وكانت هذه القصة التي بين أيديكم..

تمت

بقلم / شيـــماء محمـــــود